

الترابطية الاجتماعية وتشكّل البيئة التواصلية عبر استخدامات أجهزة الهواتف
الذكية

**Social interdépendance and Shape the Communicative
environnement through the use of Smartphones**

رشيد بن راشد

جامعة وهران 2، benrached.rachid@univ-oran2.dz

تاريخ الاستلام: 25/01/2025 تاريخ القبول: 01/02/2025 تاريخ النشر: 26/03/2025

ملخص:

في ورقة بحثية سابقة؛ تطرقنا إلى استمرارية التفاعلية لدى مستخدمي الهواتف الذكية في محاولة البقاء على تواصلية عبر البيئة التي قد تشكّلت. أمّا حالياً فنسلّط الضوء نحو كيفية تشابك الروابط في تفاعلية أولئك المستخدمين. إعتدنا منهج القراءة التحليلية سعياً للوصول إلى مفهوم شامل يعكس واقع الترابطية لدى مستخدمي الهواتف الذكية. وكخلاصة بحثية؛ يمكن القول أننا قد أشرنا إلى مصطلح الترابطية الاجتماعية تسليطاً على مؤشرات وأبعاد ملامح تشكّل الروابط بين مستخدمي الهواتف الذكية، لاقتربنا بمدى تعقيدات الظروف الاتصالية. وعليه؛ فإنّ الترابطية الاجتماعية تتمحور حول: أولاً، دور وفاعلية التقنية الاتصالية المتمثلة في أجهزة الهواتف الذكية. ثانياً، دور وفاعلية المنصّات التواصلية على تنوعها واختلافها في إبقاء المستخدمين داخل بيئة تعكس تفاعلية مستمرة. فهذه الترابطية تتشابك في تقاطعات تتشارك خلالها تفاعلات المستخدمين. الكلمات مفتاحية: بيئة تواصلية؛ ترابطية اجتماعية؛ هواتف ذكية.

Abstract :

In our current study, we address the interactive continuity of smartphone users in trying to stay connected through the

environment that has formed. During it, we highlight how links are intertwined in the interaction of those users when that communicative environment is formed.

We have adopted an analytical reading approach to understand the reality of connectivity among smartphone users. The study found that social interdependence revolves around the fundamentals of that: first, the role and effectiveness of the telecommunication technique of smartphone devices. Second, the role and effectiveness of communication platforms on their diversity and diversity in keeping users in a continuous interactive environment. Finally, this interconnectedness forms into interlinkages that intersect at points where the interests of those users share.share.

Keywords: Communicative environment; Social Interdependence; Smartphones.

*المؤلف المرسل: ارشيد بن راشد

1. مقدمة:

يتميز الإنسان بطبيعته البشرية عن باقي الكائنات الأخرى في سعيه دوماً نحو الوصول إلى الفضاءات المناسبة بإنشاء العلاقات التي تربطه مع باقي الأفراد الآخرين وتفصله عنهم مسافات محصورة ما بين القريب أو البعيد. ويندرج هذا في إطار مفهوم التبادلية لكسب المعارف والمهارات لتحقيق المصالح الفردية والجماعية على اختلافها وتنوعها بإقامة الاتصالات المباشرة وغير المباشرة ضمن القناة أو الوسيلة مهما كانت بسيطة. وتتطور المجتمعات أستاذت العديد من التقنيات والوسائط التواصلية التي إنتقلت بالعالم إلى القرية الكونية وفرضت معها نمطاً تواصلياً من أهم خصائصه اللامحدودية في الفضاء والزمن. فانبثق عن ذلك المفاهيم التي عرفت بالبيئات الافتراضية والرقمية. هي مصطلحات لها تعبيرات ضمنية تعكس مدى

الترا بطة الاجتماعية وتشكّل البيئة التوا صلية عبر استخدامات أجهزة الهاتف الذكية

المفارقة بين البيئات الاجتماعية التي تتشكّل ملامحها إثر تفاعلية الأفراد والجماعات داخل المجتمع، وبين البيئات الاتصالية التي تتشكّل في ضوء إستخدام التقنيات الاتصالية المستحدثة كأجهزة الهواتف الذكية.

لقد ساهم تطوّر الوسائط الاتصالية خاصّة بعد ظهور شبكة الأنترنت، إلى الإنطلاق في إبتكار المواقع التي من خلالها يتواصل المستخدمون عبر تبادل الرسائل وطرح المواضيع للنقاش كنوع من الشبكات الاجتماعية، وجدت لغرض فتح قنوات متعددة للتواصل. كانت في البداية على نطاق ضيق ثمّ توسّع إنتشارها فيما بعد. نذكر من بينها على سبيل المثال: موقع "كلاس ميت" في الولايات المتحدة الأمريكية منتصق تسعينيات القرن الماضي (مارتن، 2016، صفحة 56). توالى بعدها العديد من المنصّات والتطبيقات التوا صلية إلى غاية وقتنا الحالي، وصولاً إلى أكبر منصّة "فيسبوك" على المستوى العالمي (Carter, 2023, p. 07). وكان "هاورد راينغود" في بدايات تسعينيات القرن الماضي قد تنبّه إلى البيئة التوا صلية وتميّزها بالعالمية لتحقيق التفاعلية بين الأفراد والجماعات دون قيود زمانية أو مكانية، وترجم ذلك في مؤلفه: "الجماعات الافتراضية" (إيناس، 2019، صفحة 696). فهذه المجتمعات المعروفة بالافتراضية، أتاحَت المزيد من الفضاءات التي تسمح بالإرتباطات لروادها من خلال التفاعلات المبنية على علاقات لها دوافع وغايات إجتماعية واقتصادية وسياسية، وغيرها من المجالات الحياتية. فلم يعد لهذه الارتباطات محدّدات زمانية أو مكانية خاصّة بعد إستحداث تلك البرامج والتطبيقات التوا صلية كونها أصبحت قنوات للاتصال تسمح لروادها بتعزيز الروابط فيما بينهم. وقد ساهم تطوّر تكنولوجيا الاتصال واستحداث التقنيات كأجهزة الهواتف الذكية؛ الحفاظ على إستمرارية تلك التفاعلات بين أولئك الرّواد أثناء تحقيق التوا صلية. وبالتالي بروز علاقات تتماسك وتشابك في تقاطعات عبر نقاط مشتركة، تكون بين الفاعلين الرّواد لتلك البرامج والتطبيقات التوا صلية.

لكن هذا التشابك عكس لنا بدوره ترابطية لا يمكن تحديدها وحصرها زمانياً أو مكانياً، فهي تنطلق من دائرة صغيرة إلى دوائر أوسع بحسب تفاعلية وإستمرار تواصلية مستخدم تلك الوسائل التقنية. وهذا ما يقودنا إلى طرح التساؤل التالي: كيف ساهم تشكّل البيئة في ضوء إستخدامات الهواتف الذكية، تحقيق الترابطية الاجتماعية لدى هؤلاء المستخدمين؟ وإنّ البحث في مسألة الترابطية الاجتماعية عبر البيئات التواصلية يستدعي كذلك طرح أسئلة أخرى: كيف برز مفهوم الترابطية الاجتماعية تزامناً مع تشكّل البيئات التواصلية؟ وهل لهذا المفهوم مرادفات أخرى يمكن الإشارة إليها عبر هذه الورقة البحثية؟ هل إستخدام الهواتف الذكية للولوج إلى البيئات التواصلية ساهم في تشابك العلاقات الاجتماعية؟ كيف تشكّلت البيئات التواصلية في عصر إستحداث التقنيات التواصلية كأجهزة الهواتف الذكية؟ ما هي أبعاد ومؤشرات الإنتقالية من بناء الروابط الاجتماعية إلى تحقيق الترابطية الاجتماعية؟ هل إستخدام الهواتف الذكية ساهم في تحقيق الترابطية الاجتماعية لدى مستخدمي تلك الوسائل التواصلية؟ هل هناك فروق بين الروابط الاجتماعية والترابطية الاجتماعية؟

إنّ الهدف من ورقتنا البحثية؛ هو تسليط الضوء نحو تشكّل البيئات التواصلية التي برزت في ظل استخدامات تكنولوجيا الاتصال، على رأسها الهواتف الذكية. وكذلك إبراز الترابطية الاجتماعية لمستخدمي تلك الوسائل التقنية أثناء الولوج إلى تلك البيئات التواصلية. والغاية من البحث الكشف عن نقاط التقاطع في بناء الروابط عبر البيئة الاجتماعية وبين ترابطية مستخدمي تكنولوجيا الاتصال عبر البيئات التواصلية. لقد تزايد الإهتمام بدراسة سلوكيات وممارسات مستخدمي الأجهزة الذكية عبر البيئات التواصلية. فلهذا تحاول الدّراسة المساهمة البحثية حول التشابك الترابطي في مجال التواصلية، بإبراز تفاعلية مستخدمي الوسائل التقنية وبقاءهم على تواصلية كأبعاد ومؤشرات لموضوع الدّراسة. والأهمية من البحث تكمن

الترابطية الاجتماعية وتشكل البيئة التواصلية عبر استخدامات أجهزة اتف الذكية

في محاولة إيجاد نظريات علمية يستند إليها الباحث مستقبلاً في إجراء البحوث المختصة بظواهر الترابطية في عالم التواصلية.

إعتمدنا منهج القراءة التحليلية في موضوع دراستنا للتعقّق في فهم ترابطية الشبكات الاجتماعية التي إنبثقت عن تفاعلية مستخدمي التقنيات التواصلية كأجهزة الهواتف الذكية. قمنا بتفكيك عناصر الظاهرة إلى عوامل ومؤشرات لغرض الإجابة على أسئلة الإشكالية الموضوعية مسبقاً. ثمّ أتى التفصيل بالإستناد إلى النماذج والمفاهيم التي أتت في سياقات البحث. لنصل في الأخير إلى خلاصة في شكل معادلة سوسيولوجية بعد تركيب العناصر من جديد. وهذه المعادلة تتمحور حول شكل ملامح الصورة العامة لترابطية مستخدمي الوسائل الاتصالية المتمثلة في أجهزة الهواتف الذكية، وفاعليتهم في البيئة التواصلية التي تشكّلت في الظروف الإتصالية التي تبلورت في أهم محور لهذه الدّراسة؛ وهو الترابطية التي تتشابك في ضوء تحقيق التفاعلية لدى مستخدمي الهواتف الذكية. وإنّ لكلّ دراسة بحثية مفاهيم ومصطلحات تتمحور حولها الدّراسة وعلى الباحث إيضاحها وشرحها للقارئ قصد إيصاله إلى الفهم الصحيح في شأن موضوع الدّراسة. ولقد أتت مفاهيم ومصطلحات بحثنا الحالي، على النحو التالي:

• بيئة تواصلية:

في معجم المعاني؛ تعود البيئة إلى المفرد المؤنث: بيئة. والبيئة هي المكان أو الفضاء. والشطر الثاني (تواصلية) من الكلمة المركبة. فتواصلية في اللّغة تعود إلى مصدرها: تواصل، يتواصل، تواصل. فالبيئة التواصلية تعكس المكان الذي يتحقّق خلاله التواصل. وأمّا إصطلاحاً بالنسبة لمفهوم البيئة التواصلية: فهي المجال أو الفضاء الذي يسمح بحدوث التواصل بجميع مستوياته، سواء كان مباشراً (مرسل، مستقبل). أو غير مباشر باستخدام وسائل وتقنيات مستحدثة خصيصاً لذات

الغرض، وهذا الذي أدّى إلى توسّع دائرة التواصلية، وأصبح ما يعرف باختزال الفضاء والزمن. (بيتر، 2017، صفحة 116).

نعرف إجرائياً البيئة التواصلية؛ بأنّها الفضاء الذي تشكّل عبر ظروف استخدام أجهزة الهواتف الذكية كوسائل لتحقيق الاتصال. ويقترن مفهوم البيئة التواصلية بمصطلحات مرادفة، على سبيل المثال: البيئة الافتراضية، والبيئة الرقمية. فالبيئة التواصلية تعكس دوام الإتصال، مع المحافظة على استمرار التفاعلية بين مستخدمي تلك الوسائل الاتصالية. فتشكّل ما عرف بالبيئة التواصلية؛ كان نتاج التقنيات والميزات المستحدثة التي تنطوي عليها وسائل الهواتف الذكية، التي أتاحت بدورها إمكانية تحقيق التواصل على مستوى جميع الحالات التي يكون عليها مستخدموا تلك الأجهزة الذكية.

• ترابطية إجتماعية:

المفهوم يتشكّل من عبارتين: "ترابطية" في معجم المعاني تعود إلى المصدر "ترابط". والفعل ترابط، يترابط، إرتباطاً، فهو مترابط. بمعنى متماسك لدرجة التلاحم. والترايط في الفلسفة؛ هو علاقة بين مدركين. وفي علم النفس؛ يعني إدراك الشيء لارتباطه بإحدى الأسباب. أمّا معنى "إجتماعية" في اللغة؛ فهو إسم مؤنث يعود إلى إجتماع. فعلم الاجتماع يبحث في الجوانب الثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها من المجالات الحياتية. وفي الإصطلاح؛ مفهوم "ترابطية إجتماعية" يعني الإرتباطات الضمنية التي يعرفها الأفراد والجماعات فيما بينهم وتشابك العلاقات التي تدخل في إطار بيئة المجتمع. فالإتصال وتحقيق التفاعلية بين الفئات الفردية والجماعية في علاقاتهم الاجتماعية؛ يضيف عليها طابع التماسك وقوّة الترابطية (خواجة، 2018، الصفحات 43-45).

أمّا عن تعريفنا الإجرائي لمفهوم ترابطية إجتماعية؛ فهي صور التفاعلية لمستخدمي الوسائل التقنية عبر البيئات التواصلية التي تشكّلت بالأساس في ضوء

الترابطية الاجتماعية وتشكل البيئة التواصلية عبر استخدامات أجهزة الهواتف الذكية

إستخدامات تلك التقنيات الذكية. فالترابطية هي التقاطعات التي تلتقي عندها نقاط التشابكات أثناء تفاعلات مستخدمي الهواتف الذكية. فتشكل البيئة التواصلية ساهم في إحداث تشابكات هي في الأصل عبارة عن تبادلات بين المستخدمين تنطلق من خلفيات تعكس مختلف الميادين الحياتية: معلوماتية، فكرية، ثقافية، ترفيهية.. وغيرها. فالترابطية الاجتماعية تعكس واقع التفاعلية التي تحدث بين مستخدمي الهواتف الذكية في فضاء البيئة التواصلية.

• هواتف ذكية:

لقد أتت العبارة في صيغة الجمع، فهي تعود إلى مفردة: هاتف ذكي. وتمّ إصطلاح هذا المفهوم بعدما أضيف للهاتف المحمول ميزة الإتصال بشبكة الأنترنت. توالى التطورات وأصبح إستخدامها يتمّ عبر اللمس على الشاشة. لها أنظمة تشغيل حسب برمجة الشركات المصمّمة لها. توفرّ الهواتف الذكية تقنيات الإتصال بين مستخدميها مع إحتواءها على أغلب أو جميع الميزات والخصائص التي تمتلكها الحواسيب المحمولة. كما تتميز أجهزة الهواتف الذكية بحجمها وشكلها الخارجي الموائم لإستخدامات على مستوى جميع الحالات الاتصالية (M.Polat, 2022, p. 16). تواكب الهواتف الذكية التطوّرات المستحدثة لدى التقنيات الاتصالية لإنطوائها على التطبيقات والبرامج التي تسمح لمستخدميها بالولوج إلى الفضاء التواصلية عبر شبكة الأنترنت (Peter, 2023, p. 05).

ومن جهتنا نعرّف الهواتف الذكية إجرائياً مثلما جاء في موضوع الدّراسة؛ هي تلك الوسائل الاتصالية المستخدمة في تحقيق التفاعلية بين المستخدمين. ويمكن وصفها بأنّها الوسيط الاتصالي عبر البيئة المتشكّلة في ظل إستخدامات هذه الأجهزة الذكية. وقد تزامن إستحداثها بعد مراحل تطورية مرّت بفترات زمنية قصيرة ومتتالية، تلبية لحاجات مستخدمي الهاتف الذكي في بقاءه على تواصل مع المحافظة والاستمرار في التفاعلية مع المستخدمين الآخرين عبر بيئة الاتصال. فأفرزت لنا هذه

التواصلية؛ نوع من التشابك الترابطي تحقق في ظروف استخدام الهواتف الذكية، فأصبحت ظاهرة مطروحة للبحث والنقاش بالنسبة لرواد المجال التواصلية.

2. المناقشة:

في العديد من المناسبات والتظاهرات العلمية يأتي الحديث عن أهم التطورات الحاصلة في مجال تكنولوجيا الاتصال وخاصة حول الإنتقالية المتسارعة التي تعكس واقع الوسائط الاتصالية. يقول "سينك سيمون" في إحدى اللقاءات التلفزيونية: "نحن نعلم أنّ التفاعل مع وسائل التواصل الاجتماعي وهواتفنا المحمولة؛ له علاقة بالبحث عن الشعور الجيد. فالدماغ مسؤول عن فرز مادة "الدوبامين" المسؤولة عن السعادة. لذا فإنّ شعورنا بالإحباط أو قليل من الوحدة؛ يجعلنا نرسل العديد من الرسائل عبر الوسائط الاجتماعية وننتظر تفاعل الآخرين..". إنّ جيل الألفية كما أسماه "سيمون" بطبيعته يريد تحقيق كلّ شيء لتفاعله دوماً في بيئة التواصل عبر المواقع الاجتماعية. لأنّ عالم التواصلية من أهمّ مميزاته البحث عن المثالية التي لم تتجسّد بعد في الواقع الاجتماعي. لكن تفاعلية مستخدمي (جيل الألفية) هذه المنصّات جعلتنا نلتفت إلى كيفية تشكّل الروابط وتشابكها في تلك البيئة التواصلية (Sinek, 2019).

لقد أشار "سينك سيمون" إلى منصّات التواصل، وأجهزة الهواتف الذكية المستخدمة، كونهما أهمّ أبعاد تشكّل البيئة التواصلية التي يتمّ خلالها تحقيق التفاعلية بين رواد تلك المنصّات الاجتماعية. فغالباً ما تكون التفاعلية عبارة عن أفعال وردود في شكل مضامين ومحتويات تتمثل في رسائل حرفية أو صوتية، وتكون في بعض الحالات عبارة عن رموز تعبيرية تعكس في الأخير ما يرغب المستخدم في إيصاله إلى الطرف الآخر. إنّ حاجة مستخدمي الوسائط التواصلية في البحث عن المثالية بتتبّع الجديد من أخبار ومعارف، وحتىّ بعض المحتويات والمضامين الثقافية والترفيهية. وتلتقي أدوار هذه البرامج والتطبيقات المستخدمة على اختلافها وتعدّدها في

الترابطية الاجتماعية وتشكل البيئة التواصلية عبر استخدامات أجهزة الهاتف الذكية

توفير إتاحة التواصل بين المستخدمين دون التقيّد بالحيّز المكاني أو الزمني لغرض تحقيق التفاعلية بتبادل الآراء وطرح الإنشغالات على مستوى جميع المجالات الحياتية. وقد ساهم في ذلك استخدام أجهزة الهواتف الذكية كوسائل مستحدثة ممّا أعطى ديناميكية تواصلية عبر تلك البرامج والتطبيقات على اختلافها وتعددتها (رشيد ح.، 2022، صفحة 347).

وعلى إثر ذلك؛ يمكن لنا التنويه إلى تشكّل البيئة، والتي سمحت للمستخدمين بتحقيق تفاعلاتهم عبر الفضاءات التواصلية، سواء بالإنضمام إلى بعض المجموعات الافتراضية بعد إنشائها حسبما تقتضيه إهتمامات الأعضاء المنتسبين لها. ويتم التفاعل كذلك؛ بمتابعة بعض التدوينات على إحدى الصفحات أو القنوات التي تعرض مقاطع الفيديو عبر تطبيقات التواصل الإجتماعية. فتلك التطبيقات والمواقع منذ مطلع الألفية الثالثة بدأت في التوسّع والإنتشار لوجود التنافسية في إستقطاب أكبر نسبة من المشاركين. وهذا ما يجعلنا نشير عبر هذه الجزئية إلى بعض أشهر هذه المواقع والتطبيقات على المستوى العالمي لحصولها على أعلى نسب المشاركة. فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "تيك توك"، "يوتيوب"، "واتساب"، "إنستغرام" وتبقة منصّة "فيسبوك" تحافظ على الصدارة بأعلى نسبة للمستخدمين (2.9) مليار مستخدم نشط شهرياً حتّى سنة (2023) ويليه موقع "يوتيوب" بنسبة (2.5) في ذات السنة (Belle, 2023, p. 01). فكما وسبقت الإشارة إليه، أنّ جميع المواقع والتطبيقات المستخدمة في التواصل تتشارك وتتلقي عند أهمّ نقطة؛ وهي فاعلية المستخدمين عبر تلك المواقع التواصلية رغبة منهم في السّعي للوصول إلى المثالية التي تحاكي إنشغالاتهم وطموحاتهم الفكرية.

بمعنى أنّ تفاعلية المستخدمين عبر المواقع التواصلية يمكنها أن تساهم في بناء روابط إجتماعية بين أولئك المستخدمين، وكذلك بناء روابط بين تلك المواقع التي يتفاعل خلالها أولئك المستخدمين (رشيد ب.، 2022، صفحة 123). وهذا ما سوف

نأتي إليه لاحقاً. إنّ برمجة وتصميم المواقع التواصلية على العموم تتمحور في إطار تتبع أثر تفاعلات المستخدم سواء كان عبارة عن مشاهدة فقط، أو بوضع إعجاب أو تدوين إحدى التعليقات. ومن هنا يبرز دور برمجة الموقع أو التطبيق الذي صمّم لغرض التفاعل مع هذا المستخدم، فيقوم الموقع بعرض المقترحات التي قد تناسب المحتويات والمضامين التي كانت مصدر إهتمام ذلك المستخدم. وأثناء حدوث أي تفاعلية مع أي محتوى؛ يكون هناك تبادلية من قبل الموقع عن طريق لفت إنتباه المستخدم المتفاعل حسب نوع التفاعل والمدة الزمنية التي إستغرقها في ذلك. فالواضح والأكد أنّ التفاعلات التي تحدث بين المستخدم ووسائط التواصل؛ ما هي في الواقع إلا تبادلية تتشابك خلالها المصالح بين المستخدم وتلك المواقع والتطبيقات. فتفاعلية المستخدم خلالها قد تكون لدوافع شخصية مثل كسب بعض المعارف والمعلومات، أو لطرح بعض الإنشغالات والآراء التي تحتاج إلى نوع من المناقشة. ويكون تفاعل المستخدم في بعض الحالات لإشباع الرغبات النفسانية والهروب من الواقع كالبحث عن الترفيه بعض الأحيان. وفي المقابل تقترح تلك الوسائط التواصلية بعض المحتويات والمضامين بعد تتبع أثر المستخدم لتستغل ذلك فيما بعد على سبيل المثال؛ في عروض الإعلانات الإشهارية.

إنّ التفاعلية عبر الوسائط التواصلية، مبنية في الأساس على تشابك وتبادلية المصالح بين مستخدم تلك المنصّات، لكنّها في الحقيقة تبدوا وكأنّها مجرد تفاعلات تحدث في بيئة تسمح بهذه التفاعلية، لأنّ حدوث التفاعلية عبر البيئة التواصلية ليس المسؤول عنها فقط المستخدم؛ وإنّما تلك المواقع والتطبيقات التي يتفاعل خلالها ذلك المستخدم. لقد أوضح "نير أيار" في مؤلفه: "إستراتيجية التعلّق" الذي لخصّ كيفية جعل المستخدم يدخل في تفاعلية ليس لها نهاية، وكأنّه يدور في حلقة دائرية، فيصبح خلالها مدمناً على تلك الوسائط التواصلية (Eyal، 2014، الصفحات 76-98). ذلك لأنّ الشّركات التي قامت بتصميم التطبيقات والمواقع التواصلية؛ قد

الترا بطة الاجتماعية وتشكّل البنة التواصلية عبر استخدامات أجهزة الهاتف الذكية

إعتمدت في الحقيقة على أربع خطوات مفادها كالاتي: أولاً الانطلاق من "المحفّز الخارجي" وقد يكون على سبيل المثال؛ إعلان عن إحدى المواقع في قناة تلفزيونية. ثمّ يأتي الفعل وهو الإحتكاك المباشر بهذا الوسيط الاتصالي، وتجعل هذه الشركات المصمّمة التطبيق أو الموقع سهل الوصول إليه والإشتراك فيه دون بذل الجهد الكبير أو الوقت الطويل، ويكون كذلك هذا الوسيط الاتصالي سهل التحميل دون تعقيدات قد تجعل من المستخدم يحس بالملل. والخطوة الثانية هي "النظرة الإجتماعية". فالمدمن على المخدرات مثلاً يتلقّى إنتقادات من المجتمع. أمّا تفاعلية المستخدم المستمرة طيلة الوقت عبر وسائط التواصل التي قد تصل إلى حدّ الإدمان؛ فإنّ الشركات المصمّمة جعلت المجتمع ينظر إلى مستخدم تلك المواقع والتطبيقات بنظرة راقية، بل عدم التفاعل خلالها تجعل المستخدم متهمّاً بالجهل وعدم مواكبة التطوّر. والخطوة الثالثة هي "نيل المكافئة". وتكمن في إبقاء المستخدم متفاعلاً طيلة الوقت لنيل المكافئة، فهناك مكافئة مؤقتة مثل مشاهدة مقطع فيديو يكون التشويق والإثارة يقومان مقام المكافئة، لكن بنهاية المقطع تنتهي المكافئة. أمّا الشركات المصمّمة في هذه الخطوة فقد إعتمدت إلى المكافئة المتغيرة ويمكن وصفها بالمتنقلة، فهي تبقي المستخدم مشدوداً وينتظر المكافئة، كالوصول إلى منشور أو محتوى بعد مدّة من التصفّح، ليواصل المستخدم من جديد البحث عن محتوى آخر، وهكذا يستمر هذا المستخدم في البحث عن المكافئة ليجد نفسه متفاعلاً باستمرار عبر هذه الوسائط التواصلية دون الشعور بذلك. وتأتي الخطوة الأخيرة حسبما جاء في نظرية "إستراتيجية التعلّق". فإنّ الشركات المصمّمة تعتمد "الإستثمار" فتجعل من المستخدم مشاركاً ومستفاداً في ذات الوقت عبر تلك المواقع والتطبيقات. فعلى سبيل المثال من يمتلك صفحة فيسبوك يتابعه عليها أكثر من مليون متابع فإنّه يصعب على صاحب تلك الصفحة الإستغناء عنها مع لأنّه يجد شعوراً جيّداً في تفاعلات المتابعين له. أو اليوتيوبرز من صنّاع المحتوى الذين يملكون قنوات على موقع يوتيوب، كونهم

يحصلون على نسبة من الأرباح جراء الإعلانات التي تعرض عليهم نتيجة عدد المشاهدات التي تحصدتها مقاطع الفيديو التي يعرضونها - (Eyal, 2014, pp. 101-107).

لقد حذر عالم النفس الاجتماعي "سينك سيمون" من خطورة إدمان الهواتف الذكية واستخدامها طيلة الوقت في التفاعل عبر الوسائط التواصلية على اختلافها وتنوعها وذلك لدخول المستخدمين في دوامة التفاعلية المستمرة. فقال: "الهواتف المحمولة تدمر العلاقات.. لا أحد يصغي إلى التحذيرات" (Sinek, 2019). بالرغم من أنّ التفاعلية عبر الوسائط التواصلية يتحقق خلالها بناء علاقات وروابط؛ إلا أنّ التحذير هنا يكمن في التشتت الذهني لدى هؤلاء المستخدمين في تواصلهم الفعلي مع من حولهم في بيئتهم الاجتماعية. وهذا ما أشارت إليه "شيري توركل" المختصة بالتحليل النفسي حول تفاعلية الإنسان والتكنولوجيا؛ بأننا نعيش تفاعل مستمر في ضوء استخدام التكنولوجيا، لكن في ذات الوقت تخليّنا عن المحادثة المباشرة. ولخصّت ذلك في جملة: "أنت متصل، لكنك وحدك". (رشيد ح., 2023، صفحة 103) فما بين تحقيق التواصل الاجتماعي في بيئة المجتمع، والمحافظة على تفاعلية التواصل التي تعتمد على وسائل تقنية كالهواتف الذكية، مع استخدام المواقع والتطبيقات التواصلية؛ يأتي دور فهم واستيعاب آلية برمجية تلك المنصات، التي تشدّ المستخدم للبقاء أطول فترة ممكنة في تلك البيئة التواصلية. فالتخوّف والتحذير من إنقطاع التواصل المباشر وتحقيق التفاعلية بين الأفراد في المجتمع، الذي حلّ مكانه التفاعلية المستمرة لرواد مواقع التواصل، ليس هو الحل؛ وإنّما وجب البحث في كيفية فهم التشابك الترابطي الذي يحدث خلال تلك التفاعلية، والدور الذي تلعبه أجهزة الهواتف الذكية في هذه العملية التواصلية.

إنّ نظرية استراتيجية التعلّق في مجال تفاعلية المستخدمين عبر الوسائط التواصلية؛ كشفت لنا المنطلقات التي تتسلسل في خطوات مدروسة، لتجعل

الترا بطة الاجتماعية وتشكّل البئة التواصلية عبر استخدامات أجهزة الهاتف الذكية

المستخدمين ينغمسون في تلك الوسائط ببقائهم في تفاعلية مستمرة، على غرار فاعليتهم وتواصلاتهم عبر واقعهم الاجتماعي. وهذا ما جعل الخبراء والمختصين في مجال علاقة الإنسان بالتكنولوجيا مثل "سيمون" وتوركل" ممن حذروا من التفاعلية على حساب العلاقات الاجتماعية (رشيد ح.، 2023، صفحة 105). لكن هناك عوامل عديدة تشجّع المستخدمين على المحافظة على تلك التفاعلية كتشكّل بيئة تواصلية تزامنت مع إستحداث وتطوّر التقنيات التواصلية وما لها من ميزات وخصائص، طالما بحث عنها الإنسان في مجال التواصلية. فعبّرها اختزلت المسافة والزمن، بالإضافة إلى الوسائل المستخدمة كالهواتف الذكية التي صمّمت بالأساس لغرض الإستخدام في جميع الظروف والحالات التواصلية. وكنا قد أفردنا بحوث خصّت الإشارة حول هذه الجزئية. فالخروج من التفاعلية عبر تلك الوسائط التواصلية للعودة إلى الفاعلية المباشرة بين الأفراد في المجتمع؛ فهي من الأمور المعقّدة لتشكّل بيئة إتصالية خاصّة أصبحت توازي البئة الاجتماعية (رشيد ب.، 2022، صفحة 65). فكما أوضح "نير أيار" في نظريته حول كيفية إستدراج مستخدم الوسائل التواصلية (هواتف ذكية) حتّى يلج المستخدم في حلقة دائرية، ليتحقّق بعد ذلك الاستمرار في التفاعلية، عبر تلك المواقع التواصلية.

فمع وجود تلك الخطوات المتبّعة في إستدراج المستخدم للبقاء في تفاعلية عبر المواقع والتطبيقات التواصلية، التي تحدّدت في نظرية إستراتيجية التعلّق؛ يأتي دور عامل "الخوارزميات" التي تعتمد على تلك المنصّات في فهم سلوكيات المستخدم والدّوافع من وراء التفضيل بين تلك المواقع على تنوّعها واختلافها (تيك توك، انستغرام، فيسبوك، يوتيوب). فالخروج من إحدى المواقع التواصلية على سبيل المثال؛ لا يعني بالضرورة التوقّف عن التفاعلية، لاستمرار المستخدم تفاعله عبر مواقع ومنصّات أخرى. فالخوارزميات تتدخل في تفاعلية المستخدم مع أيّ محتوى يكون متداولاً على منصّات التواصل، فنجد التفاعل مع ذات المحتوى يختلف من

موقع لآخر، سواء من ناحية نسبة التفاعلية، أو الفترة الزمنية التي تعكس مدى إستمرارية التفاعلية مع ذلك المحتوى (نواف، 2023، صفحة 01). وهذا يعود كما سبق وأن أشرنا إلى الخوارزمية التي يعتمد عليها ذلك الموقع التواصلي، في سلسلة الخطوات المتبعة والتفضيلات في عرض أي منشور أو محتوى كمقترحات لتصل إلى المستخدم. وهذا يعني أنّ بعد فهم إهتمامات وسلوكيات المستخدم والحصول على أكبر قدر من بيانات المستخدم؛ يأتي دور الخوارزميات في إحداث التفاعلية التواصلية، بإبقاء المستخدم متصلاً لأطول فترة ممكنة، بمعنى تحقيق التفاعلية المطلوبة.

على مدار الفقرات السابقة، حاولنا إبراز أهمّ العوامل التي تساهم في إبقاء المستخدم متفاعلاً عبر تلك المواقع والمنصّات التواصلية. ومن بينها ما هو متعلّق باستراتيجية المنصّات بحد ذاتها، ومنها ما يعود إلى الوسيلة الاتصالية المستخدمة، بالإضافة إلى عامل فهم إهتمامات وسلوكيات المستخدم خلال تواجده متصلاً عبر المواقع أو المنصّات. هذه العوامل شكّلت في الأساس بيئة تواصلية توازي البيئة الاجتماعية، فهناك روابط بين المتفاعلين تتشكّل إنطلاقاً من البيئة التواصلية بعدما تتحقق خلالها تشاركية مهما كانت الغاية منها، بين أولئك الفاعلين. ففي بعض الحالات؛ يكون هناك توطيد تلك الروابط بعد توفّر عاملي المكان والزمان اللذان يسمحان بتحقيق التفاعل المباشر عبر البيئة والاجتماعية. فإنّنا عندما ننظر من الجهة المماثلة، نلاحظ أنّ بناء العلاقات والروابط في بيئة المجتمع لا يكتمل في غالبية الحالات، ولكي يصل إلى المبتغى المطلوب؛ إلّا بعد نقل تلك التفاعلات إلى البيئة التواصلية لتوفّر وسيلة الهاتف الذكية عند غالبية الفاعلين، والتي تستخدم كوسيلة لتحقيق التفاعلية عبر تلك البيئة. إنّ الحديث عن الترابطية يتشابك مثل تشابك الروابط بين الفاعلين إنتقالاً من البيئة الاجتماعية إلى البيئة التواصلية، والعكس صحيح.

3. خاتمة:

لقد تمّ التركيز خلال هذه الورقة البحثية على الترابطية الاجتماعية التي تتشابك في ضوء استخدامات أجهزة الهواتف الذكية وتشكل البيئة التواصلية. فمن أهمّ مؤشراتنا يتمّ المحافظة على الاتصال مع الإستمرار في التفاعلية لأطول فترة ممكنة، وهذا ما جعل البعض من الخبراء والمختصين بخصوص هذه الظاهرة؛ يحذّرون من خطورة الإفراط في تلك التواصلية الدائمة، تجنباً للأضرار الصحيّة والنفسية والاجتماعية المترتبة عنها. وانطلاقاً من ذلك؛ حاولنا التوسّع واقع تشكّل الترابطية التي تعكس التشاركية في الإهتمامات بين مستخدمي الهواتف الذكية، وكيف أنّ هذه الوسائل، وفي وجود الوسائط مثل المنصّات التواصلية؛ إستطاعت أن تشكّل بيئة أصبح الخروج منها يعدّ أمراً معقّداً لتوفّر العديد من العوامل: مثل الغايات التي تنطلق منها الشركات المصنّعة لأجهزة الهواتف الذكية، فهي مصمّمة خصيصاً لاستخدامها في جميع الظروف والحالات التواصلية لاحتواءها خصائص وميزات تقنية تحقق ذلك. وهذه البيئة التواصلية تعتمد أيضاً على وسائط ومنصّات تجعل المستخدم يستغرق أطول فترة زمنية ممكنة حين تفاعليته عبرها. بالإضافة إلى أنّ تلك الوسائط مبرمجة بخوارزميات تعمل على ذلك. وهو ما أشير إليه في نظرية إستراتيجية التعلّق.

وفي ختام دراستنا الحالية؛ يمكن الإشارة إلى أنّ بناء الروابط والعلاقات الاجتماعية أصبح متشابك مع الروابط التي تتشكّل خلال بيئة التواصل، نتيجة تقاطع بعض النقاطات التي تعكس فاعلية العلاقات بين مستخدمي الهواتف الذكية في تفاعليتهم، وتلك التقاطعات ما هي إلاّ عبار عن تلاقي بعض الإهتمامات وتشابكها، وهو ما أطلقنا عليه بالترابطية الاجتماعية. فيمكن القول أنّ أجهزة الهواتف الذكية ساهمت بدورها في تشكّل البيئة التي تحقّقت خلالها تلك الترابطية. وعلى هذا الأساس

فإننا نلخص تشكّل البيئة التواصلية في عوامل ثلاث: تفاعلية المستخدم، المنصّات التواصلية، ودور الشركات المصمّمة.

فقبل أن نختم هذه الورقة البحثية؛ بدورنا نشير إلى أنّه يجب فهم تشكّل البيئة التي حقّقت تلك التفاعلية الدائمة باستمرار، وأصبحت تهدد بتفكك العلاقات والروابط في المجتمع. ونوصي بعدم الإكتفاء فقط بالخروج فوراً من تلك البيئة التواصلية والانقطاع عنها للعودة إلى التفاعلية الاجتماعية بتحقيق التواصلية المباشرة عبر بيئة المجتمع؛ وإنّما يجب احتواء هذه التفاعلية المستمرة واستثمارها في صالح تحقيق ترابطية إجتماعية.

قائمة المراجع:

- دراسة تحليلية في علم .سوسيولوجيا العالم الافتراضي (2019). إيناس محمود عبد الله 693-730, (76) داب /الرّافدين .إجتماع الاتصال
- بيتر بي سيل (2017). *الكون الرقمي: الثورة العالمية في الاتصالات*. ترجمة ضياء وزاد. القاهرة: مؤسسة هنداوي .
- خواجة، ع. ا. (2018). *سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي: بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية* . غرداية(الجزائر): (داية للطباعة.
- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2022). *الروابط الاجتماعية والعزلة الاجتماعية: استخدام الهاتف الذكي نموذجاً*. *مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية*. 114-134, 10(01) ,
- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2022). *القيم الاجتماعية لجيل الهاتف الذكي (تحليل كيفي لاستخدام الشباب للهاتف الذكي)*. *(المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات)*, 05(01) , 53-72.

الترا بطة الاجتماعية وتشكل البيئة التوا صلية عبر استخدامات أجهزة الهاتف الذكية

رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2022). استخدامات الشباب الجزائري للهاتف الذكي: قراءة تحليلية على خلفية حتمية ماكلوهان. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع*-333, 11(04), 355.

7.رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2023). استمرارية التفاعلية في استخدام الهاتف الذكي : قراءة في أفكار "شيري توركل". *مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية*. 99-109, 11(01),

مارتن جيل. (2016). *مواقع التواصل الاجتماعي: أدوات التغيير العصرية عبر الأنترنت*. ترجمة هبة عجينة. القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر.

نواف رضوان. (2023, 08 16). كيف تؤثر خوارزميات مواقع التواصل الإجتماعية على توجهاتنا؟ Récupéré sur عرب.48

Belle, C. B. (2023, 05 18). *Top Social Media Statistics And Trends Of 2023*. Récupéré sur Forbes ADVISOR.

Carter, M. C. (2023). A replication and extension of the Personal Social Media Ecosystem Framework. *Journal of Computer-Mediated Communication*, 28(06), 01-12.

Eyal, R. H. (2014). *Hooked:How to Build Habit-Forming Products*. USA: Library of Congress.

M.Polat, K. i. (2022). Do Social Media Characteristics Trigger Customer Engagement? An Empirical Study On SmartPhone Brands. *Dokuz Eylül University Journal of the Faculty of Business*, 23(02), 01-24.

Peter, V. P. (2023). Product Innovation Possibilities by Designing the Smart Phone Exterior Outline Based on 3d Scans of the Hand Imprint. *Ergonomics International Journal*, 07(05), 01-08.

Sinek, S. (2019, 10 15). If You Want To Be SUCCESSFUL In Life, Master This ONE SKILL! (T. Bilyeu, Intervieweur)